# من فيض قلبي

## مجموعة خواطر



سليمان محمد أبو شارب


من فيض قلبي

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ( 2013/7/2711 )

ابو شارب، سليمان محمد

من فيض قلبي: مجموعة خواطر / سليمان محمد أبو شارب/

عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

ر.ا. ( 2013/7/2711 ).

الواصفات:/ الخواطر الادبية // العصر الحديث

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ISBN 978-9957-555-45-7






تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الاردن

مجمع العساف التجاري - الطابق الاول
خلوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com

# من فيض قلبي

## ( مجموعة خواطر )

سليمان محمد علي أبوشارب

الطبعة الأولى

2014م - 1435 هـ

# الإهداء

إلى نورين ما يزالان يسطعان في عتمة حرفي

... أبي ... أمي

# الفهرس

# أحاسيس

لا أدري ماذا أكتب، لقد مللت الكتابة، وشعرت تجاهها بالعجز، أشعر بأنني أخضع الحروف لعملية مغصوبة، فتعطيني ما لا يرجى عطاؤه، أتصنع بها وكأنني لأول مرة أكتب، الحروف مطروحة بالمعاجم، وتصنف تحتها الكثير من الكلمات، وأنا لا أستطيع اليوم اقتباس منها ما هو جديد لخلق الجمل الغارقة ببحر الابداع، وهأنا ذا أعيد صياغة الجمل بما كان ولا أضيف أي جديد، فيتلاشى قلمي بمقدار الملل الذي اكتنفني، ويل للقلم من نفسي المتقلبة على فراش الضجر.

نفسي تتوق لخلق الجديد من الكلمات، وقلبي يعصر نفسه بالأمعاء لعله يوصل لي الاحساس المرهف الصافي الذي به سأتفوق على حبر قلمي، وسأنساب بأحاسيسي بدلا من ذاك المداد على صفحات ذاتي، وأشكل ما تختزنه نفسي من تأملات ورؤى وأحاسيس، تراودني فكرة صهر احاسيسي وسكب جراحها على

تلك الصفحات بدلا من تحمل وطء الحروف التي تثقل علي بفضلها فأكون لها مطواعا واليوم أكون تجاهها عاجزا بعدما لم يبق لي سواها.

بالعادة ييبس رأسي تجاه من أفقد فيه الأمل، وبالعادة أجرح كل يخونني بأملي، لكنها الحروف، إنها الحروف، كيف لي بأن أجرحها، أجرح نفسي مرارا وتباعا ولن أتأوه، ولن انعت بالأواه، سأحملها على مزن بعيدة، وسأنسيها ما بدر مني من ملل، سأقتحم عالم اللغة وسأكون كل ما يجب من ثقافة؛ لأغذي الأحاسيس، فتفيض بما يرجى من قلبي، فأصقل على صفحتي ما يليق بقلمي، متحديا الممل، مزيحا الرتابة عن طريقي، متوشحا حروفي لأواجه بها كل عائق يقف بيني وبين أي حرف، فكيف حالي تجاه الثمانية والعشرين، أيتها الحروف سامحيني، فاحساسي هذه المرة قد فاض بغير مجراه...

# ألا يكفيه؟!...ألا يكفيني؟!

بكم يقدر هذا الشعور فأدفع لأعيشه متى ما شئت، ما سر خليطه فأقتبسه وأردفه بأحاسيسي ليسهل عليه السبق فيتمكن بمهارة بإحتلال الصدارة، أنا مجموعة أحاسيس ساضحي بها إن لزم الأمر مقابل أن أنفرد بهذا الشعور، أي سحر يمتلكه كي يجعلني أقدم لعيني ما بخلت عليهما طيلة ما فاتني من عمر لأتنازل لهما بدموعي، البكاء مني منتقم ولأحاسيسي قاهر، فهاهو يعبث بها بلا رحمة ومجرى عيني يسطر له نهران...الا يكفيه نهرا.

أين يقيم فأكون أنا المكان وعلى أرضه سأجسد له رقعتي، أروني ابهامه فأكون بصمته، فيترك أثري على الأشياء بمجرد ما لمسها، فيعرفونني بلمساته....فأكون حينئذ، وسأبدأ رحلة الحلم بعظيم الملموسات وعلو الأشياء، إنه شعور داعب شعيرات أعصابي بأنامل خفية، فضحكت راقصة بين أحشائي، فطرت بلا جناحين بعالم الجنون، فيصبح لي عالمان...الا يكفيني عالمي!

الكفاية قدر واجب مفروض، فعلينا الالتزام، والطمع بالزيادة عليه تبعيات يجب أن ندركها، وعلينا الفهم البحت تجاه قوتها وويلاتها، فهي تبطش بالهين وإن زادت فقليل هو بطشها مقابل الفتك، وأنا وهو يصعب علينا التحمل، فالأجساد لينة والقلوب غضة والأحاسيس متناثرة والأنفاس متلاحقة. إن اتحاد الكينونات المتواجدة بكلينا لن تتمكن من صد المهاب، انه شئ يستفرد بأضغاث ذواتنا، إنه صاحب مكيدة لن نقدر عليه فلنعش بانفراداتنا بأرواحنا...الا يكفيه غموض... الا يكفيني دموع...الا يكفينا تبعيات...

# الرجوع إلى الأمام

كم يؤرقني البعد، كم قادني قطار الفراق إلى نار الشوق، كم احترقت من شدة الويل، كم مرت بي الأيام وعقلي مشلول عن التفكير.

أعلم أن الفراق صعب سلمه، مر طعمه، ممغص وقته.لكني ادركت اليوم أن تلك الكلمات لا تكفي لوصفه. لم أكن أدري أن ويلاته أشد والعن، ويل للفراق.ويل للفراق.

هذا المخلوق الغريب الذي يداهم حياة أي اثنين، ويسري بأجسادهم مفعوله، فتبدأ اللعنات بالثوران ولا يحس بأذاه سوى الأحباب، فتكوي جلود قلوبهم بلهيب الشوق.

أدركت أن الانسان مهما سمع عن شيء ما فلن يستطع فهمه إلا إذا عاش مضمونه وتغلغل فيه، تماما كالجنة ولكن شتان شتان ما بين الجنة والفراق.

أحيانا كثيرة تحط على مخيلتي أمور غريبة لدرجة أشعر فيها انني إنسان آخر، إنسان وهمي يعيش بعالم الضياع، ويصارع نفسه

جاهدا للمضي للأمام لحو الحياة خشية الرجوع إلى الخلف لذلك العالم،عالم الخيال. ولولا العتاب لأخترت الرجوع للخلف سأكون حينئذ ماضيا بحقيقة الأمر للأمام مع العلم أن خطواتي التي تقدمني خطوة للأمام لا تزيدني بقرارة نفسي سوى رجوعا إلى الوراء.إلى الوراء والوراء.

ومن هذا العالم اقتبست مخيلة مفادها أنه لو أنني لم أتعرف على الأحباب سيكون أرحم وأهون من الذي أواجهه الآن.صحيح أنني سأواجه الكثير من الصعاب والمتاعب كوني سأنازع الوحدة بحياتها، وأنني سأفقد القدوة والتجربة من اثير عبق الأحباب، لكنه كما أكدت سيكون ألطف مما أعانيه الآن جراء الفراق الذي ينهش لحمي، ويستأصل روحي ويمص دمي المفعم بحبهم، ثم ينحت في عظامي ذكراهم لأزداد عذابا وليتهب جوفي نارا تصلي بها مستقبلي.

... ولكني في نهاية المطاف أرضخ واستسلم كالعادة قائلا:إنه القدر

# الرقص على أنغام الشريط

عندما هبت من أمامي ريح السموم، موسومة بعلامات الفراق، مدتني بشريط من الذكريات، كانت صورتك تحتل أولاها، وكانت قائدة لذلك الشريط.

خفق قلبي على أنغام ذلك الشريط، وشعرت حينئذ أنني معلق بملقط متين على حبل الفراغ، حيث بت أعد هذه الثواني المجمدة وأبث عليها اشعاعات شمس شوقي، لتذوب وتمضي فيكون اللقاء. اللقاء الذي أريد

من ذلك الصدر الواسع الذي تحمله جوالحك الغضة، استمددت كامل قوتي ونور عقلي وغذاء فؤادي، أخذت منه كل حب وإصرار وثبات وعزيمة. ربما لم أفصح لك عن ذلك بصورة جادة لكني أقسم بربك أنني شعرت بذلك فعلا.

أقر أن الدنيا هكذا تقرب الأحباب تارة وتارة أخرى تبعدهم، لكن هذا لا يعني أنني سأمحوك من الذاكرة وأجعلها طغيانا للنسيان،

بل ستبقى ذكراك خالـدة في جنـان عقلـي حتـى لـو نـسيت شخـصا يدعى "سليمان" وسأبقى أحبك حتـى لـو عـشقت الـوف الأنـام مـن بعدي.

علمتنا الحياة أن اللغة تكـون عـاجزة في بعـض الأحيـان عـن التعبير، وهذا ما أشعر به اليوم، لذلك سأقتدي بالرمزيين ومـذهبهم، فالحت من الخيال مجسما أكون فيه أنا وأنت ما حيينا متأملا أن يكـون واقعا ألوذه بيدي.

# ألوان شيطانية

الشيطان يلعب في أذني، يعبث بها لدرجة الرضوخ، فأرضخ للعبه كي أرتاح من عبثه، فيسيطر على أفكاري وما بين أسطورة النفاق وأقصوصة الكذب ها أنا أسكن، فأناجي أرواح سابقة غابرة بأقدار ماضية وأربطها بواقع معاصر، فأعيش وسط لامية الشنفرى وأرتع بين أحضان قصيدة النثر، اتخطى حدود امرئ القيس لأجتاز مملكة درويش، فأسطر بتلفقاتي همزة الوصل ما بين القديم والجديد وكله نفاق بنفاق، لا شيء سوى وصلات من النفاق.

يخرجني الشيطان من ذاتي، يجردني من أصولي، يقدمني عاريا على خشبة مسرح الحياة، فأنتهز فرصة الهروب، فيكسوني القبيح بملابسه، فأتلون بألوان شتى منفرة للطيب مرحبة بالخبيث. تكسوني ثياب بألوان عدة، لون منافق هنا وبجانبه لون كاذب، ويجاورهما قوس قزح شيطاني خصاله سبع. وفي الشق الآخر ضربة طائشة من يد فنان سكران نفثها بمزيج قادح لألوان شريرة مغايرة.

قالوا لكل شاعر رديف من الجن، والعقل الشاعري لا يسكنه سوى ملهم جني، وشيطاني حكمني بكلماته واطنبني بأقواله وملكني ملكة الأدب وأعطاني من الحاضر ضعف ما مر من الماضي وأوكلني لجمهور شقه لنصفين، ولكل نصف نصيب متساوي من اللعب وها أنا العب.

العب لدرجة الاختيال، أتنقل بقفزات مراهقة لزوال أكيد بين آذان مخبولة، أتفنن بسبك الفصيح وأقعد لساعات وأنا نساج، ثم أنقضه وأنشره بهواء مجهول بعدما أقحمتهم بكلماتي وأسكرتهم عسلا من شدة حلاوتها، فأذهب وأنا متجه للخلف تاركا يدي خلفي وهي تبعثر بكلماتي...

مجرد استحقاق مشروع لمعنى ذاتي يدفعني لمماطلات عنيفة في عالم النفس، فأرنو لحو سكينة الرضخ لعلي أقتنع فأكون كما تتوق له نفسي، إنها لرحلة عميقة تدوس آثار الغبار الراكد على صفحة وجهي بنفخات هاربة من المصارحة. فتبدو بائسة وتزيد ملامحي قنوطا...لكني ما أزال شابا

يجادلونني في مبدأ تبعثر في جزيئات كينونتي وانتهى، يتذمرون بأنفاس أكيدة ويمزوجونها مع رحيق نفسي فيتلاشى مسحوق هوائي، أيها الساحقون بطاحون عتيق أعيدوا لي أنفاسي. فلن آبه لقاذورات استحقت مكانها في عقولكم من جديد، ولن تفلح

رحاكم بآداء مهمتها فقد سلبتها خاصية السحق، وان كان لا بد فاسحقوا عقولكم لعلها تنبت من جديد.

إنها لمفارقة عجيبة تقودني عبر خطوط الزمن بريشة فنان غابر بموجودات الماضي المتآكلة على آرصفة الحاضر، يحاولوا أن يجعلوا مني أداة تدمير للغتي، ومن خلال قلمي يريدوا أن ينقضوا على لغة الضاد، لكن أصولي لهم بالمرصاد فلن يفلحوا أبدا، وسأبقى أنفث بكلماتي في عمق الحياة، ولن أقدم أي كلمة لمائدة المجتمع فيلوكونها طازجة بسموم مدسوسة لتنهش بألسنتهم ويتحرروا من لغتهم من خلال كلمات دخيلة، لن يكون قلمي ضد مبادئي ولن أخون ذاتي بل سأسعى لنهضة لغتي من خلال القلم نفسه الذي صنع لأهدافهم الملعونة، ولتغر المكافآت الشيطانية بمغرياتها في قعرالهاوية، حتى لو عشت جائعا، فسأصرخ وأنا أتضوع من الجوع في عمق الصمت ولن أخون كلماتي ... فإني أتوق لأن أعيش بين كنفي اللونين الأبيض والأسود بعيدا عن تلك الألوان الشيطانية.

# إن فعلت

إن كانت الكلمات هي وسيلة تنقلني عبر جسر المحبة الى قلبك، فاصنعيني معجما كي أتمكن من اختراق الجسر بسرعة توازي لهفة قلبي للوصول، فأنت إن نظرت صنعت وإن ابتسمت أحييت، وإن لمست أسعدت بالحياة، وإن تكلمت غدا القلب مملكة توزع الخير عبر أوردة وشرايين خيرة تجري من خلالها الخيرات شاملة لكافة الأماكن لتدب الحياة بأرجاء الحياة.

في عينيك معالم حياتية جمة، كفيلة بأن يقضى بها العمر كرحلة استطلاع ذهاب بلا إياب، هذا إن طرأت سيرة الإياب على البال...: وإن استمريت بذكر نتاج فعالك فلن أكمل الكتابة لذا...

# أين سعادتي؟!

سأفرح. رغم أنني بعيد عن المصدر لكني أنتهز أحلامي فرصة لتقربني، وإن لم يكن فسأعيش على حروف الفرحة، وإن تلاشت الحروف، فسأقترب حينها من الحزن راجيا له بأن يبتعد، فهذا أقل ما يمكنني فعله إن تقلصت مني طرق الاقتراب من السعادة.

السعادة مطمع للجميع، فهي تنفرد بشعبية شاملة كاملة، ولكي تحافظ على هذا الحشد فإنها لا تستلم لأي كائن قط ولا تمنحه نفسها حتى لو أحبته، فإن أحبته فستيسر له الموت الذاتي بسهولة، ليس من السهولة أن تحرمنا الحياة من حق العيش، فهي أم رؤوم، تمتلك الحنية بأقصى معانيها، وهي ليست على هذا القدر من السذاجة حتى تمنح أي منا سعادة كاملة. هذا إن افترضنا على وجودها في حياتنا هذه، ولنفرض أن سعادة الإنسان في هذه الحياة مقتصرة على زينتها من مال وبنون وانقراض للمشاكل والهموم ووجاهة وملكوت دنيوي كائن، حينها ستفعل الحياة دور أمومتها وستكون كالقطة الجائعة لأولادها مفترسة.

كل شيء بقدر، ولسعادتنا في حياتنا قدرها المقـدر لكـل عـضو فيها، ومن يطمع يقترب من حافة الهلاك، فإن لم يتعظ وقـع وهلـك، إني لست على شيء من الحكمة كي أشهر بسيفها على رقاب الجهلـة، لكني قد وصلت إلى حد الثمالة من الإقتناع بحكاية النصيب والـرزق المكتوب فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف.

لكني في الوقت ذاتـه أجـزم بحقيقـة الإتكـال وأنبـذ التواكـل، فعلمي الراسخ بيقين جازم بمقـدار رزقـي، لا يوصـلني أبـدا لدرجـة التكاسل والتخاذل في قضية السعي لحو رزقي المكتـوب، فلـن أتوكـأ أريكة الخمول قـائلا مـا عنـدالله آت، لكـني أسـعى لأجـني مـا قـدر وكتب، دون أن أكلف نفـسي فـوق طاقتهـا، ومـع كـل قطفـة الـوك ثمارهـا بلـساني أستـشعر بنكهـة التعـب تـسري في مكـان الـسعادة بقلبي.هذه هي سعادتي! لذا سأفرح حتـى لـو جـسد التعـب حروفـه على سبورة قلبي.

# بصمة

غاص مرأى عيني بعمق إبهامي، بارزا على قرنيتي صورة معكوسة جانبيا لبصمتي.وبصمتي تعبث بذاتي، تحثها لأن تكون وتكشف نفسها، لتدور بأخاليجي عبر مدارات حياتية عدة، فأتعمق بالأنا وأصل للعليا منها، وتحل عقدة أوديب بالموضوع، فأهرع كملجأ للتداعي الحر، فلا أجد سوى نظرات تهكمية من قبل فرويد ليشيح هو الآخر بوجهه عني.

علم النفس ومدرسة التحليل النفسي لا شيء مقابل شخصية انتشلتها لذاتي من أثير معرفتي البحتة، فلاشيء يروق لي من أفكارهما ولا مبدأ يثيرني من مبادئهما فالفكر والمبدأ شيئان خاصان بشخصي مستمدان من منبع ذاتي فلا تدخل ولن أتدخل والاقتراح مسموع لكنه مرفوض!

# جنود الصمت...

عم الصمت أرجاء المكان، ودوت سهامه عنان الضجيج، فلم يعد للكلمات، مكان ولم يعد للصرخات مكان، ولم يعد حتى للهمسات مكان، فقد أدبر نهار الضجيج الصخب واقبل فجر الصمت الرحب.

هنا وفي هذا المكان وعلى ساحة الأحلام تراسمت صور عبقة من أثير عبق الضجيج.كانوا حولها يلعبون يتمايلون يتضاربون ويصرخون، كانت الحيوية تدب أرجاء الساحة المحتلة، فقتلتها سنهام الصمت بمهارة استأصلت من خلالها عمق الروح، وغدت الساحة مرتعا للصمت وجنوده يبثون ويطلقون سهامهم الصامتة ليقتلوا كل لحظة نشطة مرحة وتنجح بسهولة، فكم سهل القتل في زمن الصمت، كم سهل الاحتلال في زمن الصمت، كم سيسهل المنيع في زمن الصمت...

جنود الصمت كثر، أكثر بكثير مما قد يتخيله أي عقل بشري، والغرابة بحد ذاتها تستغرب مدى تنوع جنود الصمت من ناحية

الفكرة والتنويع في الهجوم والسرعة المتباينة بشكل واضح على جبهة كل جندي. والأدهى من ذاك وذاك هو قضية الاحتضان هذه، ربما سرح عقلكم بكم لبعيد فأخذكم لمرتع الاحتضان البرئ، لكني في احتضاني هذا اقصد قدرة كل جندي باحتضان أجزاء جندية صغيرة تتزاحم في شخص الجندي الواحد.ألم اقل لكم آنفا إنها أعجوبة زمن غريب، زمن الصمت.

جنود لا تخطر على بال العقل البالي. يا قارئي حروفي... ألستم من مصدقي؟! إن كنتم هكذا، فلأبرهن لكم بالاطلاع على مضمون احد أولئك الجنود، ولنصحبه معنا في جولة نسطرها بحروفنا القادمة.

التكنولوجيا.نعم التكنولوجيا احد جنود الصمت، أحد جنوده الأوفياء الذين كللوا الإخلاص تاجا يلصقونه بغراء متين على أسنمة رؤوسهم، فللجندي هذا مهارة فذة بالتسرب إلى عقول أهل الضجيج بأسلوب سلس وبحيلة خفية، فتتمكن لا من اللسان فحسب، إنما بمصدر الاحساس المتحرك في الوجدان.للجندي هذا حضن واسع كبير يحتضن بداخله العديد من الجنود الذين يعملون بالمبدأ نفسه، وكلهم يسعون بأمانة واقتدار لحو نتيجة مفادها تعميم الصمت وشل حركة الكلام وتعطيل مفعول الحيوية وما شابه هذا

وذاك. وبدأت سبابات الهجوم تشيح بوجه ذاك المكان وانطلقت نحوه لتبدأ اللعنات بالثوران لتغلي بثورانها قلب أم.

هنا وفي هذا المكان وعلى ساحة الأحلام تراسمت صور عبقة من أثير عبق الضجيج.كان الأولاد الثلاثة حول أمهم و يلعبون يتمايلون و يتضاربون ويصرخون. كانت الحيوية تدب أرجاء الساحة حتى داهمها أحد جنود الصمت. ووزع جنوده المحتضنين بسهامهم الملعونة على أبناء الأم.

موقع التواصل الاجتماعي على الانترنت داهم الابن الأول، وأسر وجدانه الغض وقيده بقيود الإدمان والمكوث لساعات وساعات كانت من حق ساحة الضجيج، فأسرته لتبعده ولتفقد الأم لحظات كانت تتمنى بأن تسمع من ابنها كلمات وتخبر ابنها بكلمات ولتعم الكلمات أرجاء المكان، وحينما لم تفلح تمنت بأن تغمرها أيضا التكنولوجيا بلحظة احتلال، لتمنحها الحق بأن تشكل حسابا على ذاك الموقع، وتشترك بكلماتها مع كلمات ابنها، بما أن الأمر عبارة عن لعبة وكلمات تكنولوجية لا أكثر ولا أقل.

هوس مشاهدة الأفلام سيطر على كيان الثاني، فلم يعد هناك قرصا مدمجا يحوي فلما إلا صار بحوزته، ولم يعد فيلما يبث على الشاشة المتلفزة إلا كان من مشاهديه.ولم يبق مقعد من مقاعد صالات السينما ولم يمنحه حق الجلوس عليه. ولم يبق عند الأم سوى

أمل واحد لتواصل اقبالها لحو لذيذ الكلمات، لتجمعها بابنها الثاني لحظة اجتماع واحدة. هي أن يمنحها المخرجون أدوارا صاخبة تليق بها فتنقلها إلى ابنها عبر أفلامه تلك.

العاب الفيديو مزقت أحشاء عقل الثالث وحلت مكانها، فصار تفكيره يقتصر على عالم الألعاب الالكترونية وانتظار كل جديد، ليتحول الضجيج الملقى على ساحة الأحلام الى ضجيج معشعش بساحة العقل الالكتروني.حينها رفعت الأم يدها الى السماء لعل أمنيتها الثالثة تتحقق وتكون لعبة كباقي الألعاب تلك! فتتمرد على باقي الألعاب لتستدع انتباه الثالث وتوقظه مما هو فيه وتوصل له رسالتها بتمردها ذاك.

هذا يا مصدقي حال جندي واحد من جنود الصمت.ألم اقل لكم إن عقل البشر العادي عاجز عن استدعائها وحصرها كاملة وهذا ما يصيبني الآن. وبالنسبة لتلك الأم فلم تتحقق لها أي أمنية من أمنياتها الثلاث، إنما منحها الله لحظة اجتماع مع ابنائها دون أن تضطر لأن تدخل إلى عالم التواصل الالكتروني، أو أن تكون ممثلة خلف الشاشات الالكترونية، أو أن ترضى لنفسها بأن تكون لعبة تتمرد على ابنها.إنما حدث ما حدث في تلك الليلة، والأم تنفرد بوحدتها في غرفتها الموحشة. حيث انقطع التيار الكهربائي لتذهب التكنولوجيا في سبات مؤقت، فيترك الأول موقعه أمام صفحته على

موقع التواصل الاجتماعي، ويقف الثاني عن اتمام مشاهدة فيلمه. وتتوقف ضجة الألعاب التي اصطنعها الثالث. فيلتفت كل من ثلاثتهم إلى الآخر ليتذكروا أنه ما زال هناك شيء يوقظهم من وحشة الظلام ويؤنس عتمتهم بلحظات دفء. مصدرها تلك التي تنتصف وحدة غرفتها، فالتفوا حولها وعاودوا وصال الكلام. فضحكت الأم ضحكات سرقها منها زمن الصمت من مدة، وليسرقها قلبها الضعيف منها الآن، فتطلب من أحد ابنائها بأن يحضر لها دواء القلب على نور الشمعة، ليتعجبوا ويسألوا من متى وهي تتجرع جرعات هذا الدواء، فلم يكن بوسعها إلا أن تبتسم ابتسامة تهكم، فكيف لو عرفوا أن هناك ضغطا وسكري وهشاشة و... تتزاحم برفقة القلب. فلم يلبثوا قليلا حتى واستيقضت التكنولوجيا من سباتها على ضجيج التيار الكهربائي، ليعود كل ابن من ابنائها لمواصلة ما كان عليه فيأخذ الصمت مجراه من جديد، أما الأم فستبقى تعيش على أمل سبات جديد للتكنولوجيا، فحتى ذلك الحين ستعيش على أثير ذكريات تلك الساعة التي انقطع فيها التيار الكهربائي وتجمع ابناؤها حولها.

# دجاجة هزيلة

تفرقة غريبة...تناقضات بذات الشق... استعلاء على هفوات مكبوتة وتجريد تام من إسطورة نبيلة. الهدف اقتناء المتداول والطعن بأحشاء المتكدس...والتطوير هدف قائم لتمضية سبل الحياة... واعتراء واضح لاختيارية منصوبة قدم العينين، وهم كذلك يبغون الانفرادات والتجمعات فيهم ...ما يزالون بها يتسكعون . تخبطات على بقعة نيرة واضحة... والتحايل على انتحال شخص الضرير في أقصى ابداعاته.

يهرفون بلعثمات متلاشية مصيرها أذن لينة... مصيرها انصهار بصهير حراري... مصيره تخافت تحت أشعة الكون.... استنشاق لأرواح غابرة تقلصت من أطرافها فتكونت بأقعار منصفة مصيرها أنف أحمق.

يبصرون بحدقات متسعة متسخة لزوايا الزمان، ويوسعون من قطر التحديق، فالوسع بالرسم أمر مقتدر لكن الوسع بالنفس بات

شئ يستقر هنا. حيث أنت أيها المستحيل، فتتحد زوايا أزمانهم ببؤرة أعينهم، فيكون عمود الحياة المتسلط ليتسلقونه فلا يجدوا من تسلقهم إلا كما يجد الثعلب من تسلق شجرة اعتلتها دجاجة هزيلة كادحة بذات أزمانهم أضعاف ما مضت بهم أزمانهم.....يا أنتم إني لكم من الناصحين اسمعوني وعيشوا زمان الدجاجة!.

يفكرون بعقول مستعارة، إعارة مجانية لإنسان طبيعي، وباهظة الثمن لمجنون، لسان عقولهم ينحرف عن سيله اللغوي وينصب ببحر التوابع في لغتهم، ولهم مكافأة التعب فيجترون جينما يجرون كلماتهم، وينصبون حينما ينصبون كلماتهم ويرفعون بالسخط حينما يرفعون كلماتهم بما شاؤوا.

يتشكلون بحرفية عالية من الإتقان، يترسمون بألوان عجيبة منها كانوا يضحكون وبها اليوم يمضون، هيئتهم رفيعة التطبع ...انسياق ملحوظ خلف فضلات مستهلكة من ذواتهم... تبديل لريش أصيل واستبدال بآخر حاله من حال حالهم، بينما تلك الدجاجة ما زالت تستبدل ريشها من عمق جلدتها، من أجنة أصولها....ألم أقل لكم قبل قليل عليكم بزمان الدجاجة.

# قد

قد أرى ما لا يراه غيري، وقد أجني على نفسي ضعف ما جناه علي الدهر، وقد أنكل ذاتي بما جادت علي النفس بأمراضها من كرم وقد أتبعثر بعثرات الحياة كضرير بات يتخطى الحصى بعصا.

لست غير غيري انما أطمح بأن أتميز عن الآخرين، أطمع بشامة تزين وجه حياتي وتفرقني عن الوجوه الاخرى، فأكون صاحبها الحصري فلا شريك ولا ند، ويل لعالم الشراكة من سهامي الفردية، ويل لهم لما ينصفون بأيديهم، وهنيئا لي بالكل حينما اجمعه بيدي فحسب.

# شتات من أنا

## ( الأنا الواردة أدناه لا تعني شخصي بالذات )

أنا من جسدت لكم خلال تجوالي أرواحا ترنو نحو آفاق العلا، أنا من سحبت النور من بصيص أعينكم المتوارية خلف تخبطكم فأحييتكم فيه، أنا من بسط لي الأديم جناحيه لأطير على أرض عهدتموها مشيا، أنا بطل احلامكم الذي يمتطي صهوة مخيلتكم، أنا من ركعت له أعينكم خارة، فرفعتها بعزة يدي شامخة، يا من تنكرون ما كان مني، يا من تسحبون بساط فضلي من فوق رؤوسكم، يا من رفعتم حذاء نبوغي من أسفل عقولكم، يا من اعتليتم عرش كوخ فضلتي فنسيتوا مقابر قصوركم، يا من غسلتم وجهكم بلعاب خطاباتي وبلاغة لساني، الا تكفون عن الجحود، والجحود فيكم ما بقيتم، لكن إن صار جحدكم علي، فلا كنتم بعدما بذيل اسمي صرتم. مخلفات عظيم المجازي ما هي سوى يواقيت حمر نارية تكسو أجسادكم من الأخامص الى النواصي.

غرغروا ببقايا أنفاسي لتتجدد أرواحكم شتى، تعثروا بأثر قدمي لتنطلق سيقانكم بأجنحة عبقي نحو صميم الحياة، سيروا بالعتمة التي مررت فيها من قبل كذا سنة لتبق لكم نهارا ما بقي أحفاد أحفادكم، إن كنتم أنتم بكينونات ذاتي تكونون فحينها ابصقوا لتنبت أرضكم أنبتة أوراقها حروفي، وسيقانها أناملي وجذورها أدمغتي وثمارها شتات من" أنا".

لا تهرفوا باسمي كثيرا خشية على ألسنتكم من الثقل، فهي بقايا بلاغتي التي حركت ساكنكما ساكن أدمغتكم وساكن قلوبكم ولن أجعلهما يلتقيان أبدا لأني حينئذ سأرحمهما، نعم سأرحمهما فعهدا علي أن أكسر رقابكم فقط كيلا يلتقي الساكنان.

ويل لكم لما نكلتم بي، سحقا لألسنتكم التي غررت بي، الا تخجلون على الخبيث الذي يجري بعروقكم، أم أنكم قد آثرتم التواري خلف قليل من كثير الأدب. تظهرون لي وجوها ملونة تارة تتلألأ على أوتار الضياء في حضوري وتارة تسود خلف عتمة غيابي.

ما هي سوى سباب أصررتم بأن تطبقوا عليها الشفاه إصرارا، وتسبكون منها عظيمها، فتلوثون فيها ظاهري فلا يصيبه سوى سمعة وقاحتكم، وشامة في جسدي تعرفني بحقيقة نفوسكم، أستذكركم فيها عندما أراها وأنا أستحم فتنزلون من ذكراي مع

نزول أوساخي، فتتعالى الأوساخ بأن تجتمع مع ذكراكم بمزراب واحد فتصر بأن تتعلق بحبال لجاة المصفاة.

كونوا كما كنتم قبل أن أكون فيكم، فستعرفون أنكم لم تذوقوا يوما للحياة طعما، فعطاسي قد وزع عليكم نكهات عدة لتذوقوا بأطياف شتى، ستجرحون عزتكم بسبابي، سترخصون من قيمتكم حروفها، لأنه لم يصيبكم منها في يوم سوى حروفها ليس إلا، ستدوسكم أقدامي مجرد ما ضحكتم على اجتماع اجتمعتم فيه على غيبتي وبهتي، فأنتم من عرف الضحك حينما أخفضتم رؤوسكم صاغرة من تفوقي فناظرتم قدمي وأنتم تضحكون لي، فرسمتوها في أعينكم فتبدت لكم كلما عرفتم للضحك معنى. اضحكوا قليلا فستذوقون بغيابي كثيرا.

# شئ لا بد منه

العوائق شيء لا بد من حدوثها، عقبات يجب أن تترسخ بطرقاتنا، ومواجهة لا بد منها، ولكل منا عقدته بالحياة، والكل لديه ما يكفيه من هموم مصاحبة، وان لم يكن فوداعا للحياة.

إني ما أزال أتعجب من ذلك الضعيف الذي يخر صاعقا ويتلمس الأخامص، بعينين ذابلتين، يستنجد من الحياة رحمة تنتشله مما هو فيه، والرحمة تقطن هناك بزاوية بعيدة، لا تمده بأي صلة وهي منه بريئة.

كن ذلك القوي الذي يصارع عثرات الزمن بابتسامة منكلة للمشمت، تقتحم غروره اللعين بطرفة عين ساخرة، كن القوي الذي ما يلبث الا أن يقف على كلتا قدميه عقب مشكلة مر بها، وما المشاكل عنده سوى أصناف من أملاح تنوع النكهات.

سأكون رغم كل شيء، وسأستولي على زمام الأمور، وسأسحق عظمة النفور، ولن أسمع نفسي الآه سوى بأغاني العصر، ولن أكون بعد اليوم آواه، ومهما داهمني الزمان بما يخطر

وبما لا يخطر، فسأصهرهما بخاطر يعبث بكياني الحر. عبثه يؤدي لنتيجة واحدة أن أبتسم رغما عن كل شيء، وأن احب ذاتي لأغوص بالأعماق.لأني ببساطة اريد أن أكون!

# صمت الأيام

هو الصمت بعينه، يلازمني أينما أكن، يصر بأن يمتهن مهنة الظل الملازم في شركة شخصي، راتبه كلامي فيأخذه بلا رأفة ليجعلني أتفنن بأنواع السكوت فأوزعها على ملحمة أحزاني وأحاسيسي، علاوته وحوافزه شاعريتي المتدفقة والمنسابة على أوراق الوهم فلا تغدو الأوراق أوراقا ولا السطور سطورا ،فلقد تمحورت كلماتها، وتقلصت كنقطة سوداء استقرت في قاع الزمان، لتبق شاهدة على حدث الصمت، صامدة بوجه الكلمات، حاقدة على ذلك اللسان البشم المتواري خلف أطلال الخطابة المرونقة بأعاصير الرقي والبهاء الأدبيين. فتلفح تلك الأعاصير بلهيبها المنكوي على ساحة جسدي أصفاد كلماتي فتحررها من قيودها، لا لشئ إنما لتشكل خيوطا سوداء متكلمة بلسان الأيام لسان حالها يشكل أقوالا على صفحتي، لتعقد عقدا بيني وبين موظفي "الصمت"، بموجبه يجب أن يستقر صمتي في عمق شركة شخصي بشكل أبدي، هذا المدى

أمانته وامتنانه لمهنته. ولشدة امتنانه أصمت وأصمت، وتصمت مكنونات ذاتي، فتستجيب لها الأيام ولتصمت هي الأخرى!

وعلى اثر صمت الأيام، يجب أن يصمت كل ما يخص شخصي، فلتصمت كلماتي، وليصمت عشقي، وليصمت ولهي، ولتصمت أحاسيسي...وحتى الصمت يجب أن يصمت هو الآخر، فما زال بإمكان تلك الأقلام أن تهرع من هذه اللحظة بكتابة نص مرونق قد تجذب له أنظار المتلقين لمجرد عنوان خارق للعادة الا وهو صمت الصمت!

وإن كان الأمر عبارة عن لعبة معنونة، إذا فمن خلال صمتي يا هؤلاء بإمكانكم أن تقتبسوا الآف العناويين، فقلبي الغض يحمل موسوعة هائلة من العناوين الصامته، فأي عشر يتبع عشرات الأصفار بعد الفاصلة قد يأتي صمت الصمت إزاء صمت الأيام، وأي رونق ذا طبيعة ساحرية جذابة قد يحملها صمت الصمت مقابل صمت الأيام، فلتفتحوا قلبي لتشاهدوا ما تعجز العين عن مشاهدته، افتحوه ليخر صمت الصمت عاجزا متسمرا في مكانه لا يقوى على الحراك لشدة ما رأى، ففي قلبي زاوية صامته تحتل جزءا صغيرا من قلبي، تحمل بين ثناياها قصة عشق صامتة حكاياتها بريئة، مفعولها قوي سرى في أعماق وجداني، حتى خلخلت الروح وباتت تؤرجحها على أرجوحة الحياة، فتتأرجح بمهارة فذة مصرة أن تخترق الهواء الذي يملي جهوفي حياة، فتهتز لحركات الهواء مشاعري وأحاسيسي وتوقظ ما هو دفين في أعماق القلب، لتصلي بلهيبها

أعماق مصدر الدمع في عيني لتدمع عيني بلطف، بلطف تام يغلغل شريان حنجرتي بقوة، بقوة رهيبة تجعلني أبكي حكاية عشقي بصمت، أتلاحظون أبكيها بصمت. واتخلل أثير ذكرياتها بصمت، ويرتجف قلبي لها بصمت، وتتضارب أحاسيسي بساحة الصمت، وتلعنني أنياب الفراق بصمت، وتحمر قرنية بكائي بصمت، حتى الألوان باتت تلون أحاسيسي بصمت. أصارع كل ما سبق دون أن تلمحه أحاسيس أو عيون أو أيدي أو شخوص الآخرين، فأتلذذ بصمتي على انفراد، وأبكي على صمتي بانفراد، وأتحسس لوعة الأحزان في زمارة حنجرتي بيدي أيضا بصمت وانفراد، والرائي لشخص صمت الأيام يجده يرتكي أريكة البهجة والسعادة، يغوص في بحر اللذة والاستمتاع، متجاهل تماما مدى الصراع الذي يشهده الجوف على حلبة الصمت، كل هذا وتقولون لي صمت الصمت، هيهات لما تقولون، واواه لصمت الأيام، فكم بخسوا من حقك يا رفيق شخصي. فلن تكون موظفي بعد اليوم ولن تلازمني كظل فمن أنا ومن أنت، أنت بعد اليوم أنا وأنا أنت. ولترتبك الضمائر ولتغر في قعر اللغة!

... والآن هل تنتظر يا صمت الصمت أن أطلعك على المزيد من زوايا ومكنونات قلبي الا يكفيك اطلاعا على زاوية العشق، الا يكفيك ما أصابك من ذهول مجرد اطلاعك عليها، اعذرني أيها الزميل فلن أقوى على فتح زاوية أخرى، فلست مستعدا لأن أتحمل خطيئة قتيل مات من رعبة ما شاهد. فتموت بصمت بعدما عشت

بصمت.لأنني أنا والأيام قد تعاهدنا أن نخترق زاوية من زوايا صمتنا، لعلنا نرى من خلالها بصيص أمل يقودنا الى عالم الكلمات، فننطلق من خلاله.هذا فقط لأنني أعلم أنه مهما باغتتنا سموم الأيام من اسرار تشل حركة اللسان في دوامة فمي، إلا أنه سيبقى هناك في أعماق النفس يستقر أمل اتفاءل من خلاله، وانطلق بقوة الى عالم الحياة. هذا فقط لأنني اثق بذاتي واثق بأناس حولي يكنون لي مشاعر الأخوة والولاء، فما داموا هكذا سأدوم بخير باذن الواحد الأحد، وساستمع لكلماتهم والتي أخالها تطرق باب أذني لتوصل لي هذه الكلمات " أنه يجب أن نكون متأكدين من أن اللحظة التي نقرر أن نتكلم فيها هي ذاتها اللحظة التي تعطينا الحق بأن ننطلق إلى عالم الراحة فلا نتكئ على اريكته فقط كما يشاهدوننا إنما نتخلله واقعا نلوذه بأيدينا من اصغر اجزاء أعماقنا حتى أوسع أبواب ظاهرنا، حينها فقط بإمكاننا أن نرى لسان الأيام يتقلب في فم الزمان مغردا بأجمل الألحان.وما أروعها من ألحان!

فقد آن الأوان لأن تتقلب قلوب العامة وسط صمت الخناجر، فيبوح كل قلب بسره ليخر صاعقا أمام الموت، إلا أن هناك قلبا ما يزال يستتر بسره ويواجه الفناء بإصرار انه قلبك قلب صمت الايام. فيا اخي ان كان لا بد من الصمت فكن به فخورا ودافعا للإصرار والثبات لا للإحباط واليأس.

# طبق من الابتسامات

ليست مجرد ابتسامة صدقوني.الحياة جسدت لي جسرا ينقل على جسده المتين سمات السعادة الكامنة بمدخرات جوفي من أخمص أناملي حتى ناصيتي بذؤابتها.

وحينما أنوي الابتسامة، فإنني ابتسم لأنني أريد أن ابتسم، لا لفرض قيدني بإلزامية صارمة، ولا لمجاملة جعلتني أنبض بدماء النفاق وهي تعث بألحاء جسدي، الابتسامة تبرز عن شخصية تخفي شخصا كاملا بجوارحه، هي عالم بذاته إن سمح لي التعبير، فمن خلالها قد نكشف عن حقائق مختبئة خلف وجه ما، ومن خلالها قد تصل لنا علامات الفهم إلبحث عن اسلوب شخص ما، ومن خلالها قد نصل الى ما نطمح، ومن خلالها قد نغيظ شخصا، وقد نسخر من شخص آخر، وقد ننتصر وقد نستسلم، فما دامت تتنوع الأنواع فسيتنوع المغزى.

هي أنواع منوعة، تتباهى بأشكال عدة لفي واحد، لكن العجب يستحق أن يأخذ مكانه في قلبي، حينما أرى أن خليط من

تلك الأنواع قد تتزاحم بوجه واحد. أتعجب من مدى تنوع الاصناف في طبق واحد، أتعجب من سهولة استساغة المجتمع لنكهة خليط ذاك الطبق.

أجزم بحقيقة تنوع المواقف التي تستدعي التنوع بملامحنا وانفعالاتنا وتصرفاتنا إزاء ذلك الموقف، لكني قد أجزم أيضا بمدى فشل صاحب الموقف الصادق من امتلاك مهارة التمثيل لاتقان لعبة التنويع تلك. فشخصيتي الصارمة لا تسمح لي بالهزل إن أذن الموقف لذلك، وإن كنت صادقا وحاولت، فسرعان ما ستغمرني لحظات الفشل، كما أن ابتسامتي الجادة التي تخط خطها على فيي بجد لا تصلح لأن تتعدى حدود الخط لتملأ الفم بابتسامة مرحة، وشخصيتي الطيبة لا تسمح لي بفرض ابتسامة ساخرة على وجهي لمجرد أن الموقف تطلب ذلك... وقيسوا على شخصيتي ما نوع.

اني أطمح لابتسامة صادقة تحتل الطبق وتنفرد به، وتقدم للمجتمع ولذاتي بنكهة واحدة فحسب، نكهة فريدة من نوعها، نكهة مميزة بكافة المقاييس، نكهة تنبض بصدق، تنطلق بعفوية، متحررة من كافة القيود، تعبر عن شخصي فأتميز بها، فأكون كما يجب ان أكون، حتى لو واجهت صراعا مريرا إزاء حكايات المواقف، وحتى لو رفضني مخرجو الحياة من سيناريوهاتها.

**النهاية**

# فلسفة من نوع آخر...

ضمن عالم موغل بدقات الزمن، مستبق لحقيقة الحدث، مصرح بها، مخبر عنها، تتشابه الدقات وتمضي الساعات، وتتقلب الألسن بالأفواه متذمرة من سخط"الروتين" فالأيام هي هي! لا شيء سوى صور منسوخة عن الأم تتجسد فيها حكايات الماضي بنكهة حاضرية مشابهة لطعم المستقبل.والخلاصة أن الأحداث تتراكم على صفحات الزمان، شاهدة على خمول المكان، نادبة بأفواه ندية واصلة حتى العنان.

واليوم جئت، جئت لأكون تلك الصورة المنبثقة من صميم التكرار، فأهز حراكها لتنفض كل ما بخواصرها، فتقدم الشيء الغريب ضمن اليوم الطبيعي، فغيرالإعتيادي سيقتحم المكان وسيرسخ قاعدته ضمن أيام اعتيادية فتكون كمحور ملتحم ممشوق بروح عجيبة تستهدف "الروتين" وتقتل صميمه، فتدور حول ذاك المحور شتى الرؤى والأحلام الساطعة بكيان كل كائن، فيكون بعدما تشتتت

الكينونة مع غبار ذاته، فأكون بقدومي هذا قد رسمت صورة جادة ناضجة باذخة المعالم تستولي على التجديد فتصهره وتقتل الجمود والتكرار، فيضحي الشيء الإعتيادي لا إعتيادي! ولعل أن قضية البقاء هي القضية التي تشغل عقول البشر، والسؤال المستقر بالأعماق هو ذاته الذي يشغلني، فهل أعيش لمجرد العيش، هل أعيش لأمضي الساعات وأجتاز دقات الزمن بمهارة فذة، فأكون بذا قد طابقت الأيام بين دفتي كتاب كل ورقة مشابهة لسابقتها، أم أن البقاء هو شيء آخر من شأنه أن يجدد من طبيعة حياتي، وينقلني عبر سكة الأحلام، فأتلذذ بنكهة التجديد الحاضرية مع التلهف لتذوق طعم المستقبل الآتي. ربما أن هذا السؤال قد عشعش بخيوطه بعقل كل مفكر، وربما أن قضية الأيام الإعتيادية بحاجة لقضية غير إعتيادية كي تقتحمها، وبمعالجتي للقضية الأساسية التي من شأنها أن تقلب كيان طبيعة الحياة، مجرد ما هرعنا للإجابة سيكون بإمكان غير الاعتيادي أن يتخلل أيامنا الإعتيادية.

كلنا يعيش وكلنا يسعى لأن يعيش والكل يكافح حتى يستمر بالعيش.لكن يبقى السؤال هو هو عندي، هل البقاء هو العيش المعني، هل هو تلك الأنفاس المتدفقة بزخم بأكياس جوفي . أم أنه شيء آخر مختلف.

ما البقاء؟أهو بصمة أتركها على صفحة المجتمع لأثبت وجودي بأثرها ونوعي بحبرها أم هو شهادة غيري بتفاعلي معه، أو ربما يكون حس ينبض بقلب الحياة فإن أصبت منه شيئا كنت وان لم أفلح فلا.

إن اقتصر المفهوم على هذا التحديد، وإن اضمحل شتاته ببوتقة مجمعة للمفرق بدليل صهيري مصير مزيجه وعاء التلاشي.اذا لتلاشت مكونات الفهم عندي بأغوار الجهل، فهل من مسبر؟! اذا سيأخذ التلاشي مكانه الراسخ بأعماق طموحي، طموحي بالنسبة لي هو مصدر بقائي وان لم يكن هكذا، فلتغر أنفاسي بقعر الحياة، فلن أنتظرها كي تكون الشاهد الوحيد على وجودي واحتضان الحياة لي، ولن أنتظر ابهامي كي يحن علي ببصمة ساذجة على رقعة مجتمعية، كي يبرهن على وجودي، ولن أكون مضطرا لأن أوجه فوهة بندقيتي صوب قلب الحياة كي أصيب لبها، فأنتشل الاحساس الذي يسمح لي بربط حبال العلاقة ما بيني وبين غيري فأكون حينئذ.

سأرسم أحلامي، وسأكوم لوحاتي ركاما فركام ولتصل للعنان، حينها سأمزقها فتتلاشى بسماء أحلامي بدلا من استقرارها بباحة الجهل، سألون أصابعي كلها بأحبار منوعة تضاهي حبر ابهامي ولتبرز أصابعي ككل على رقعة المجتمع، فحيزي كبير بإمكانه

ان يسعها كلها بالاضافة الإبهامي، سيسمع شخير طموحي أثناء سباته ليثبت للكون بوجودي حتى وهو في أشد لحظات الغياب.فأكون كما ينبغي لي أن أكون كما أريد أن أكون...فكينونتي كائنة رغما عن الكل بما لا يريد الكل، هذا هو البقاء بالنسبة لي وهذه قضيته...فهل من تعليق؟!

... وفي نهاية المطاف لا يسعني سوى أن أشير أنه ربما بتفكير قليل عما فاض به احساسي بشأن قضية البقاء سنكون قد وصلنا للشئ الذي سيغير مجرى حياتنا وينقل الأشياء غيرالإعتيادية إلى حياتنا اليومية الإعتيادية فنخلق التجديد بمجرد البقاء.

# في غياب الورد

حينما أنظر إلى خليط الورود المتجانس بتفان دقيق في شفتيها، أستشعر بأن ملكة الذهول قد استقرت بصميم الأعماق، وأن لاشيء بات يجدي نفعا في ظل عشق عفوي انساب على كنانة الهوى بقلبي، فغدت سهامه سهام جارحة تصلي جلد قلبي بنيران مفعمة بدقات العشق.

لم تكن أيامي سوى أيام بائسة باسقة بفضاء مجهول الهوية، يدور ضمن مدارات زمنية موغلة بدقاته، موجزة بلذاته، مغالية بهمومه، سائحة بين ما كان وما يصير، وما بين الماضي والحاضر تتجدد اللعبة المعتادة في ظل زمن تهافت على حياة الثمالة، هي رحلة حياتية قهرية تهفو في عصور غابرة، تحملني على أكف نسائم حمقاء لتلقي بي على مزن صاخبة، فترتعش لثقلي برعشات مطرية سوداء، تمطرني بوابل أجاج على صخور ملساء، فأستيقظ بين ذراعي وردة تعيد لي ما كان وتصبو بي إلى عالم الأحلام، فتتجدد

فتات الأمل الراكد كضحضاح بأعماق القلب.فتشرئب بجذور ذاتي على صفحات الآتي فأكون حينئذ...

"الآداب" لم يكن مجرد اسم يسطع على جبهة الكلية المتسمرة بتلك الرقعة الفضية، ولم تكن "للعلوم التربوية" بأن تقترب منها وهي بعيدة عنها كذا ذراعا ومغايرة تمام التغاير لولا دقات قلبي التي تشبثت بأحضان طبلتي أذني، فتدق دقتها لتهز حراك قلبي بدماء وردية لها من الحمرة ما للأحمر من ذاته، فتسطر برقاع حمراء على أرضية موصدة بالغرام غير المتناهي جداول عبقة تضفي على المكان حيوية جمة.فتتلاعب الكلمات المنسية على حبال الذاكرة بقفزات استهزائية تغيظ الماضي بماضيه وتفتح للمستقبل آفاق كفيلة لأن تخلق أجواء العشق.اذاً سطروا أيها الكتاب حكاية عشق جديدة بفصول عشق أبدية.

هي ليست مجرد انسانة، فقد تعدت مرحلة الذات البشرية لتستقر بين أكناف الأرض كملاك اغرورق ببحر الإعجاز، لها من الهفوات ما لغيرها من تصويبات تلقي بهم على منصة المدائح، وعليها من بوادر الجمال ما لغيرها من الذوبان بقمة الجمال، هي منذ هذا اليوم ملكة على تلك العضلة المستقرة في بواطن يساري. غوصي كيفما شئت فأنا بحرك، وتقلبي برحيق جسدك كما يحلو لك فأنا فراشك، قبليني بالهوى لأكون مجنونك منذ اليوم، ولأنسى

كينونتي عند أخمصيك، اعتقيني فتتجدد عن أناملـك عقـود عبـوديتي، كوني الوردة فألثم كالنحل، واذبلي لأموت فداءً لإزهارك، فما قلـبي عند حياتك سوى مضخة حمقاء تضخ دمي، وما هو عند عـشقك إلا مملكة غارقة بنعيم ملكته الأنثى.

اندمجتا الكليتان، وعاهدت ذاتي على المصارحة، لكـن تلـك الطبقة التي استقرت بها في الأفـاق أصـرت أن تبتعـد حتـى العنـان، فتجعلني راكدا بساحة الوغى، منتظرا بصيص الأمل، لكنه غير قـادر على إيقاف وردتي من الضياع، انه لن يقدر على منعهـا، إنـه يهفـت بغيابها، ففي غياب الورد كل شئ يضيع، حتى الأماني تضيع، حتـى القلوب تضيع، حتى الـسطور تتمـاحى، فـانس يـا قلـبي فللطبقـات تفاوتات، وأنا هنا وهي هناك والعشق المكلوم ها هنا وهناك، يقـتلني بصمتها.ارشدوني يا أهل الهوى لعلها تصرخ حتى لو بـ"لا".

شـقي بـصرخاتك عتمـة ذاتـي، عـل الجفـن يـسكن عـن الإغماض، عله يري عيني ما غفلت عن رؤياه، فالأمور باتـت بائنـة، والـصمت قـد لاح، اصـرخي فـالجفن بـدأ يـرتعش، فلعهـا رعـشة استجابة، فالأمل قائم، رغما عن قلبي القاتم، اعيدي بداخلي مـا قـد كان، وامنحيني ما لم يكن، كوني فالكينونة لي واجبة، اصـرخي لكـن بنبرات صوتك جودي، اشحذيها بمقامات عدة، فأذني صـماء لـيس من الهين أن تستجيب لأي صوت، وان كان لـديك مهـارة فـأسمعي

قلبي بدلا من أذني، فربما هـذا الفعـل أصـوب، وربمـا يكـون التـأثير أعمق وهو كذلك!

شقي بصرخاتك عتمـة ذاتـي، عـل صـمتي يخـرج مـن كفنـه، ويشيع بالنواحي، فيملأ الأماكن حياة ممزوجة بوعي، فأستدرك الأمر قبل أن يفوتني القطار فإني سأستقبل من العمر أكثر ممـا اسـتدركت، اصرخي قبل أن أبكي الفوات، وأتأمل بالإستجلاب، فليس مـستعدا بأن يكون سراب، ولست مـستعدا بـأن اعـي بوقـت اكـون فيـه قـد استدركت من العمر أكثر مما سأستقبل.

شقي بصرخاتك عتمة ذاتي، عل الدروب بقلبي تضيء، كـوني ذاك النور الذي سيوتق شعلة قلبي، فأحيـا لأحيـا علـى مـا يجـب أن أحيـا عليـه، فالحيـاة ميتـة وبأنفاسـنا تحيـا ولنفـسي يجـب أن يكـون النصيب الأكبر فأحيا بحياتك وبأنفاسك لا بحيـاة مـستعارة، أنتظرهـا كشفقة من غير صرخاتك. فهي مواخر بحر ذاتي بليـل دامـس، احيـي ليلي، فالليل منذ اليوم حرام على الذات، وحـرام عليـك الـصمت، فليولي بصرخاتك.

شقي بصرخاتك عتمة ذاتي، لعلي أكون لهـا مطواعـا، انـي لا آمرك، بل أني أقف على عتبة الترجـي، والوقـار يحـذوني، والإلتـزام يعنيني، فافتحي لي باب الأمل، لتعلمـي أنـي انـسان، لتعلمـي بـأني عاشق تمرمر بسنين الكتمان، فأنا موله بارهاصاتك الغرامية السرابية،

والإنسانية مني ليست بمفقودة، فصرخاتك ستجمعها وستخلق بداخلي الإنتصارات، انصريني نصرك خالقك، ولا تظني بي الظنون، اني لست متسول ولست بثمل، انما أنا صاح ولك مستجيب وهذا المرام، فرجاء اصرخي.

اصرخي حتى لو كنت تصرخي فرحة بيوم تخرجك، لإني بخيالي سأمحور الأمر كرد على جوابي، فلا تتركيني حائرا على عاتق الحيرة، تائها بتيهاء قلبي، غارقا بيم أحزاني، اصرخي وسأمحور كلماتك التي تبارك تخرجك بكلمات تبارك زفافنا. ولا تذهبي قبل أن تصرخي، رجاءً ابقي يا من شققت حتى بصمتك عتمة ذاتي، ووضعت بصدك مرفأ لبحري، ورسمت بإثمدك بصمة لإبهامي. ابقي يا كل الورد فإنهم ما يزالون يبيعون الورد، ابقي لا لشئ وليس من أجلي، فقط كيلا يبيعون الورد بغياب الورد.

# قدره أن لا يكون

مبتغاه لا يدنوه شيء مما علا أرومته، سعيا منه لترميم ما انهار من اختزالات جسد موقر موصد باقفال موغلة بالعقد.أموره صائرة للنسيان عارية على حواف الكساء، صامتة بوجه الكلمات، نافخة بعمق الرياح.كله هباء صائر لميقات غير معلوم. تداهمه انفعالات متلفقة بالتجديد، حاملة بطش ما كان، ساحبة عنفوان الآتي منذرة برحيل غابر، وبقدوم زائف تتماهى خطواته بسراب خط كطريق منبسط، فاتح للموصد، ظاهر للمتواري، فلا لعين حد اقصى من الإمتداد ولا لأنف قيود تأسره حدود الحواس فيستنشق فقط ما يعطى.

حياته كمشكاه شائكة شائخة شامخة تناهز علو النور، رغم عقد متينة وأعمار موغلة بالتقدم، رافعة الراس لتبين وسط ظلام دامس، وحدود ترابية ما اتسعت الا بأشبار تزيد عن محيطه بقليل بخيل، فما عمره سوى قذفة بخل فيها الزمان عليه، بتبدنيس بائن فأصبح كائن لا فض، قائم لا هش.... إلا أنه أصبح فضا جدا هشا .لا شيء سوى جثة متوارية تحت الأديم. ما المرجو؟! ما كان بعدما كان فقدره أن لا يكون!

## قمصان...

دعوني أكون شارة على قميص المستقبل، لأميزه بها، فيقبل الحاضر ليبدل قميصه، فلقد عث عليه قميص الماضي.

# كينونة زائدة

في هذه الوقفة العمرية، وقفت مذهولا عند أعتاب السؤال، إنه يقتلني ويعبث بأحشائي بلا رحمة، يخنقني ويطبق على نفسي بلذة كتمانه، يجعلني أكلة لحرقة أعصابي، فماذا صنعت حتى الآن؟

ترتسم البسمة الساخرة على شفاه المحيط، ويلعب بنفسيتي ويتهمها بالمرض، أنا لست بمريض أنا باحث عن حقيقة المجاز توارى خلف خيوط العمر السريعة!تمر الساعات ويخطفني العمر بعبوره، وفي كل مرحلة أقول سأصنع من نفسي بنيانا يناهز النفوس بالعظمة، لكني لست سوى شيء يصير كما كان، ولاشيء سوى ما كان، وما كان لا شيء سوى قذفة من عمر بخيل، لا يهمني فم المحيط بما يتلفظ من هامش الكلام، لا يهمني عظيم المجازي الذي صوروه بأعينهم. فإن كانوا هم يتسكعون مختالين بأعماق الضحضاح، فأنا لا أسعد ان طفوت على السطح، فما سطحه عند قعره سوى جسد واحد لاسم واحد، كرأسي وقدمي بجسدي الواحد!

ما هـي سـوى مفارقـات، ولعـب بالمقارنـات واختيـال علـى الكلمات، وإن كان الأمر عبارة عن لعبة، فإني يا هؤلاء يا أصـحاب المفارقات، أحب اللعب بالكلمات وأشد ما يجذبني بالموضوع قدرتي البارعـة باللعـب، ان كـان للـرأس والقـدم فـرق شاسـع في الجـسد الواحد، وان الشتان بات يتخللهما، فما هما عندي سوى شئ واحد لجسد واحد، إن كان الجسد فإنه سيكون بقدمه ورأسـه، وإن لم يكـن فلتغر الأعضاء بلعبة الكلمات.وإن كـان الأمـر يـصالح العنـد فـإنني أشدهم مصالحة، وإن أصروا على المفارقة فاني أبعدهم مفارقـة، وإن كانت الفروقات تكمن بالشئ الواحد، فإن مفارقاتي أبعد مـن ذلـك بكثير، ولن أسمح لأي عضو مـن جسدي الحـر ومهمـا قللـوا مـن شأنه، بأن يخرج من ذاتي حتى لو اضطررت بـأن أطـأ بقـدمي علـى رؤوس المفارقة كي أكون.

# لفتة

أشتاق لها لدرجة أنني لا أكاد أحس بوجودي بعدم وجودهـا، أشتاق لها لدرجة تجعلني أتخبط بذاتي، متسولا أمام المرايا طالبـا حـق رؤيتها، ليتني أكون هي بظاهري أمام المرآة، فتكون أمامي كلما رأيت نفسي أمام مرآتي، لا يهمني ظاهري مقابل رؤيتها فليغر شكلي بقعـر الحياة، أو ليتلاشى ويتبخر ويتيه، حتى لا يطمع بـه التكـاثف فيعـود لي شكلي بواسطته، ثم يسلب مني حق رؤيتها.

## لما قد كان...

قد تلعب بي الذكريات وتؤرجحني على حافة الهاوية، فتدوي في أحشاء قلبي وقعا ممتزجا بجرعات الخوف والتخلص. الخوف من مصيري الذي ينتظرني في قعر الهاوية، أو التخلص الذي سيحرر قلبي من نظرات التأمل ونغمات الترجي المنشودة على أوتار حبال صوتي.

قد يعيدني الزمان الى ساحة الصراع الذي سئمت أعبائه، فمرة تجرني أذيال الطمع الى منصة الثراء غير المشروع، ومرة تصدع أنياب الضمير بدوامة راسي، فتجعله ملجأ لكافة الأصول النبيلة التي ترعرعت منها.

الخيانة لم يكن لها مكان بقلبي، وأعصابي لم تصدر أوامر الخيانة الى قلبي بعد، وإن حدثني عقلي بها، أو حتى لو عمل بها وبدأت آثار الإدانة واضحة على يدي الملعونتين من قبل هذا القلب.

عندما قابلني الرئيس لأول مرة عن طريق الصدفة تسربت إليه اشعاعات ذكائي وسرعة بديهتي، وأدرك ما أنا عليه من عظيمين لا

يقدران بأي ثمن، لكن نفسي الوضيعة قد سمحت له بأن يسجل لا لذكائي وبديهتي فحسب، إنما لكينونتي بأكملها ثمنا وقيمة في عالم الإقتصاد والمال.

أيام قليلة حتى وبدت التغيرات ملحوظة على كيان أسعد، وأيام اخرى أقل من الأيام السابقة بقليل، حتى باتت الزفة ترافقه في معظم لحظات حياته، فما زال السرير ومستودع قضاء الحاجة مانعيين متينين لاستمرارية الزفة! الزفة هذه مختلفة عن باقي الزفات المعهودة، ففي زفتي قد تجد هذا الوجه المعهود، أو الشخصية المتلفزة تلك أو خريج معاهد التايكواندو ذاك.

بت أسجل في عيون العامة شخصية صعبة المنال، وهدفا تصوب له أسهم الواسطة من كنانة الملهوفين على منصب معلم في مدرسة حكومية، أو ممرض في مستشفى لا علاقة له بالشفاء سوى الاسم، او الدعوات المنطلقة من فيض قلب أم باتت ليلتها وهي تتضرع لربها بالدعاء، فهي لم تقدر على النوم في ليلتها تلك بسبب ذلك الجوع المقصود، فآثرت أن تستفيد من السهر بالتعكف والدعاء!

وفي عيون الرئيس اصبحت أسجل همزة الوصل بينه وبين فكر مرؤوسيه، همزة لا على ألف واحدة إنما على ملايين منها، وواحدة منها ألف رضيعة صغيرة.وألف أخرى أكل الدهر من

سنونها حتى بدت الآثار ظاهرة على الجسد وشاهدة على زمان الرئيس!

ومن خلال الزمان الذي جسده شخص العجوز الكهل، انطلقت الملايين لتقف هذه المهزلة، لتضع السدود أمام تيار الجوع، بأن تقفل الأفواه المنافقة بأقفال العزة والاباء، باسم الرقعة الارضية الحرة والتي لوثها ذلك الرجل بكلتا يديه القذرتين، ووظف عليها أشخاص من أبناء الرقعة أمثال أسعد!

انطلقت الثورة لتقف شاهدة على أعتاب الزمان الحر، وانسكبت الدماء لتروي الرقعة بزمزم أحمر اللون، فاللحمرة وقع خاص في قلوب الناس في هذه الأيام.

واليوم يتخشب الرئيس في مكانه، ويتسمر بأرضية الرقعة، فتخلخله الرقعة لشدة رطوبتها من تلك الدماء، فتشمر عن ذراعيها لتخلعه من أرضه لتلقيه على هامش الحياة، مع أن الهامش أيضا لا يريد أن يستقبله، ولكن يجب أن يضحي كما ضحى الكثيرون يجب أن يضحي كما سأضحي أنا الآن، كما ستأخذ الأصول النبيلة مفعولها لأرمي البندقية في وجهه والتي أعطاني إياها لأنسخ الملايين من أشباهها فأوزعها على أمثال أسعد واتباعه لنبدأ بعملية البطش!

فاقمع أوامره بقوة اصولي، وأعود أعود إلى رقعتي إلى أحضان أمي وانصح الكثيرين بالعودة، كيلا تسيطر عليهم صراع الذكريات،

والصراع الذي ألمسه اليوم وأنا على أرض الرقعة، وأنا أستنشق رائحة النصر وهي تنبع من أثيرها.

ولكني ما زلت ضحية الصراع المرير، الذي اكتنف جسدي وأنا ذا أقف على جثث النصر واستخف بنفسي، فكم إلى غاية وضيعة طمحت حتى أصل بذل نفسي، وفي المقابل كم فقدت هذه الرقعة من ضحايا كي تصل الى غاية عظمى .

أيتها الرقعة: سامحيني فآه لو تعلمين ما مدى الألم الذي يحتل جزيئات جسدي، كم تتلعثم الكلمات وتقف عاجزة على ناصية الكلام تطل بين الكلمات عن كلمات ترجي فلا تجد فهيهات لما قد كان!

***النهاية***

# لماذا؟

لماذا حينما أريد أن أفعل أجد من يقول، وحينما أنوي الفعل يهم هو بالقول، وما بين القول والفعل تتجسد الحكاية.

لماذا حينما نحاول أن نبتسم تعود بنا الذاكرة لضجيج الألم، الذي يعبث بطبلات آذاننا، وما بين الابتسامة والألم تتجسد الدمعة.

لماذا حينما أحاول ابراز نفسي، سرعان ما تتكاثر الماضيات بسيل أحزاني، كجرذان تعبث بحقل رأسي، وما بين التظاهر والماضي.تتجسد الشخصية.

شخصياتنا مزيج متجانس من لحيمات الماضي، ودقات الحاضر، والخوف المنتظر من المستقبل، والدمعة همزة وصل خارجة عن نطاق العربية، فتطول حتى تشمل خطوط الزمن.الخطوط الرأسية المتعارف عليها باللغة كألف تائهة بين زخم الحروف.فالحكاية قد بانت فهي حكايتنا كمخلوقات ترابية تضج بالأحاسيس الموغلة في الأعماق، فتتراوح على خط الأعداد من أقصى يمين الموجب حتى أقصى يسار السالب، ولكل واحد منا رقمه

الخاص الذي يعبر به عن مقدار الاحساس ببدنه، لكن السؤال الذي ما يزال يؤرقني. لماذا حينما أنوي أن انفرد برقمي أجد الكثيرين يهرولون نحوي حاملين القسمة بكلتا يديهم.... كم أكره القسمة رغم تفوقي بها!

# ليست مجرد حكاية

حكايـة ليـست كـأي حكايـة، حكايـة تتجـسد علـى هـرم الكلمات، تهوي بقعر النفس كذا ذراعا، فتحدث وقعا له أثره الباقي على خطى دائمة، تتلخص بشخوص لهم مكـانتهم بـالنفس عنـد أي شخص استهوته ثقافته، وتكمن أحداثها بمكـان عـشعش علـى بقعـة أرضية بخيوط مخملية له من الجمال نكهة تـضفي علـى الحيـاة حيويـة ساطعة ببريق خلاب، والزمن ليس كأي زمن، انه زمن له من الوقـار ما عليه من دق للثواني بظل سنين مطولـة، ينـساب بـأجزاء سـاعاته على حياة الثمالة فـتقترب الى الحـد الأقـصى مـن الحيويـة الأكيـدة، وتشرئب العقدة بأناء شفاف له لمعـة خاصـة تكـشف الخفايـا ويهـرع العديد للمساعدة فتضمحل كنقطة سوداء تستقر كفضحضاح رخـيص بدرك الإناء، فلن تطمح بعد اليوم لأن تتصالح مع ذروة التـأزم فقـد ولى زمن التعقيد، وأقبل زمن هذه الحكاية، إنها حكاية تروي أحـداثا لها من البساطة نصيب يجعلها تفوح على أسطح الألسن لتجعـل كـل واحد من أصحابها عبارة عن راو ماهر بنقل الحدث وعلى أثـر كـل

راوي يأتي راو جديد هكذا حتى يطول العدد ويزداد رواة الحكاية، كيف لا وهي حكاية تجمع الملايين عبر احداثها وتصالح الألاف بشكلانيتها، وتنفرد بوحدة شاملة خاصة بالباقيين لما لها من قوة باستجلاب صفاء النفس ونقاء الروح على هذه القلوب المؤلفة، حكاية كاتبها له من الرزانة مالم يكن لغيره من الكتاب، ولخياله بحر يخوض بأعماقه الغواصون فيعودون طالبين لمزيد من العقول لعدم تداركهم لحقيقة بحرية غدت بلا قاع.بصمته خاطفة للعيون، راسخة بالنفوس، صائدة للعقول، يسعى بقوة لأن يزرع التعجب بمنبع زراع كل مفكر، فتنمو عبر مدارات فلكية عدة تدور معها كافة العناصر الحياتية مفصلة للكلمة موجزة للزمن، خضراء كانت فتيبس وخضراء تعود هكذا حتى تستمر دورتها شاهدة على مدى قوة بقاء الحكاية بحياة أصحاب الحكاية، حكاية بلا نهاية قد تكون، أو قد تكون نهايتها عبارة عن بداية لحكاية جديدة ما هي الا قطعة مقطوعة عن الحكاية الأم فتتقسم الحكاية وتملأ المكان حكايات كل حكاية مشابهة للحكاية الأخرى حاملة لنفس الفكرة، تتلاعب بذات الزمان والمكان، عقدتها مضمحلة كالعادة بمجرد وحدتهم، لهم من الشيم ما يجعل الرتابة تطلق ساقيها للهواء هاربة من حكايتهم، فالحكاية بقطعها حكاية واحدة، مهما تقطعت فستعود بسرعة، والرائي لظاهر الحال سيحكم بمدى قوة الوحدة، بشكلانيتها

المصالحة للألاف المفكرين فحواف كل قطعة مكملة لحواف القطعة الاخرى، والمدقق بعمق الحكايات سيعرف أصلها الواحد فشخوصها مشابهين لبعضهم البعض لدرجة الخيال وكم من خيال ناهز ذروة الواقع لهم فكر وثقافة ولغة وأحلام ورؤى مشتركة بظل مكان واحد على أزمان متفاوتة بالمسافات متقاربة بالمضمون، فهي حكايتي وحكايته وحكايتها وهي حكايتهما وحكايتهم وحكايتهن، إنها حكايتنا، حكاية الأرض، حكاية الشعب، حكاية الوحدة، حكاية الضاد، حكاية ألسن عربية تشهد على بقاء الكيان العربي ما بقي الكون، حكاية لغة باقية مع بقاء الزمان، خالدة بخلود كتاب الله، إنها حكاية عروبتنا، ونعم الحكاية فهي ليست مجرد حكاية!

# مجرد يوم

كالعادة، استيقظ مع بزوغ شمس الضحى، مستقبلا ارسالاتها الذهبية على مهل، فأجلس بجوار شجرة الدحنون حاملا قلم عقلـي، ودفتر حياتي وأسطر يومي الآتي بحـسابات الـزمن، هـو يـوم بـسيط يخلو من اجراءات التغيير، لكنه بالنسبة لي بمثابة الجاز عظـيم يتكـرر على صفحات الحياة، وأنسى قضية التغيير هذه مع رشفة القهوة التي صنعتها هذا الصباح، صحيح أن طعمها ليس مقبول لكن كنهة قهوة ربما أستسيغها!

صيحات الديوك بدأت تتعالى، وكالعـادة ديكنـا هـو صـاحب الصوت الأعلى والأجمل، ففي سماء الصباح تشتعل منافسة الـديوك وتبدأ الصيحات بالثوران، وهاهي العصافير بدأت تخرج من أوكارها طالبة من الرازق بداية جيدة ليوم جديد، هي تـشبهني بقـضية المـرام، فمرامها ما قد ذكر، ومرامي جلب التغيير.

فكرت بالتغيير مرارا، وبحثـت في قـضيته بعنـاء، شـعرت بأنـه شئ يتـشمخ علـى أعتـاب المـستحيل، يحـاول منعـي مـن الـدخول،

فتذكرت أن كل خطوة في حياتي وأيامي القروية ما هي سوى تجديدات متدفقة مع سيلان يومي بمجرياته، ففي يومي المعتاد أرى مالا يراه غيري، في صباح يومي أرى شمس الضحى مع أشعتها الذهبية، بينما الكثيرون محرومون من هذا الحق وهم يتقلبون بفراشهم متلذذين بطعم النوم الماكر، وبالنسبة لي فإنني أطرب أذني بما نوع من أصناف الغناء المنبثقة من مناقير الديوك والعصافير، و صوت تساقط حبات الندى من أوراق الدحنون على صخور ملساء، بينما غيري محروم من هذه الموسيقى لمجرد أنه يشغل أذنه بتفكيره المجرد.في يومي المعتاد، أجد لنفسي مرتعا في فيافي الحياة القروية. وبين كنوز البراري وبساطة الريف أجد جدي وهو يخطط الأرض بمحراثهالذي استولى عليه الصدأ، فسنوات العمر قد أكلت منه وأكلت من محراثه.لكنها حياتنا ويومنا وطبيعتنا وسنعيشها.

هو مثابة يوم بسيط يمضي كغيره من الأيام، أستيقظ على ما كان والروتين يحدق بي قائلا: هيا، فألبث مليا قائلا: الا يوجد تغيير، لكن ثمة هواجس هناك تهرول نحوي تقول هيا، وصوت ما بداخلي يستقر بأعماقي يقول لي هيا، وديكنا أيضا يقول لي بصوت شجن هيا، فألبي الرغبات وأنطلق، أنطلق ليومي وأعبث بحقيقة حياتي، فأحركها وأشكل السعادة من جديد ولا أمل.

الملـل لا يـدخل حياتنـا، وإن تـشابهت دقـات الـزمن، وإن تكررت أحداث يومي، فهو يومي الذي بـه أسـعد والـذي تتـوق لـه نفسي كلما شعرت بأن الحياة تخنقني بسكراتها.

شمس الضحى وصـيحات الـديوك ومحـراث جـدي وبـراري قريتي وأوديتها، كلها معالم حياتية أقضي فيها يوم بـسيط كبـاقي أيـام الأنام، فإن كان هذا متطلبا للتغيير فهلموا لي، وإن لم يكن. فهذا أنـا وهذه حياتي وهذا يومي. يومي الذي سأعيشه شئت أم أبيت.

# مسكينة

مسكينة هي حينما تشرئب بجذورها إلى منصة الإقتحام، فتغترف باستغلال ملحوظ كدر ما تفانت به أمهات عظام، تجسدن على لوحة الإنحلال، فسدرن بسحيج أنفسهن طبقات متثاقلة من بؤس استدار على نازعة الأحكام، فأطبقن يخصفن عليهن اللعنات ليطردن من رحمة مركونة بالزاوية العلوية لمدق الحياة.

كئيبة هي حينما تسترق أفواه تجهمت بوجوه عبوسية المنظر، عويصة التجاعيد، رويضة الإذعان، فيكون مقرها بقدر مقدر التقدير، فيحن العدد ليبسط مكانته على سهام ناصية سحيقة بائتة في سبات عميق، فترنو هي لهن ليقدمن المشورة، فتنهار لوائحهن وتبرز لائحتها، فتثور اللعنات، وتتخبط خبط قصد، بعين القصد على صاحب القصد.

# مشاعر غريبة

في أمس بانت الخفايا وتقهقرت الثقة مذعورة، مفزعة النوايا الحسنة كي تستجلب شتات الشهامة بموقف واحد يستدعي الإصلاح، والإصلاح قد تلاشى منذ فترة، ألم يكن صاحب ساقين طائرتين بأجنحة تأريضية.

ما كان بيني وبينه أكبر بكثير مما بني في موقف واحد استحضره الغضب الملعون، فعمر البنيان من بقايا لبنات ماضينا، أوج الماضي يشهد لنا بصحبة معمرة قطافها أصيحاب بنا يقتادون، وعلى همس أوتار العهود يتواعدون ومرامهم في حبال رقابنا متعلق، فهم على براءة صحبتنا التي لحوها بأعيننا سيمضون.كم يجمل اللقاء في دروب متصحرة...آيلة للهلاك.

إني هنا ما أزال أحدق، فالطرق قد اكتنفها الشسوع رغم همزات الوصل التي اصطنعتها بيني وبين رفاقي، كي ترصف لي جانبي صداقة واحد منهم فيكون رمزهم وسيدهم.

تستعمرني مشاعر دافئة باهظة الرهـف، واللجـوء إلى الجحـود شيء غريب يقتل مشاعري، فلطالما اعتبرتـه قطعـة مـشوقة بلحيمـات ذاتي، لطالما كسرت روحه براءة نفسي الصادق فحدقت بنا الصلات فكنا أقواها.

ثمة مشاعر غريبة تحوم على كتفي الصداقة بأسـلوب غريـب، لم يعهد له الطير مثيل، لا لإنبساطه انبساط ولا له في عالم الإنقبـاض مرأى آخر سوى ما شوهد، صدق ومحبة، وعطف...وهلـم جـرا ممـا جرى به السياق في جر نعوت فضلى بعالم الصحبة العليا.

# مصدر غير متوقع

أحلامي كبيرة كثيرة، أبحث عنها بكدح، استرق من الأيام معين فلا أجد فيه شيئا من الإخلاص، فيقلل من قيمة أحلامي، يستخف بها، يجعلني علقة بفيه، يمضغها بمهل ثم يلفظها مع ضحكة ساخرة سببها أحلامي.

كي أعيش علي أن أحلم، والحق لي في ذلك بلا منازع بلا شك، فأجد من ذاتي حقيقة تلهث وراء نباح متواصل بعمق الصم، لن أبقى متواريا خلف عتمة المقسوم. به آمنت وقد رضيت، لكني أطمح لأن يكون مقسومي شيئا من سعادتي التي أركض وراءها جراء تحقيق أحلامي، ياه أيتها الأحلام كم أنت بعيدة المنال، وكم لخيالك الذي يحوم فوق فيافي مخيلتي قرب أقرب لذاتي مما تتخيل ذاتي.

لن أكترث لتلك النواغص التي تؤرق الخطى المتراكضة خلف طيف أحلامي، سأسحقها وسأسويها رصيف لأحلامي، كي ترتاح عليه خطواتي بتلذذ على آهات قهر مسبي تلك النواغص.

شيء ما يستقر بعمق روحي، يفعل فعلته فتبدو علي علامات الاختناق، ألهث كمتهور مجنون، يجعلني أبغض أحلامي التي أعيش من أجلها فأفاجئ بأن هذا الشئ مصدره أحلامي فحسب.

# مع احترامي لك...

لم نصل إلى هذا الحد من السذاجة بعد حتى لا نفهم ما يقـال، ولم تدوسنا آثار الغباء بعد، فنحن بعقولنـا مـا زلنـا لحيـا، وبـسيلات أعصابنا نستمر بالإحساس.

كم تنجح تلك الكلمات بإثارة النعرات التذمرية لدي، وتزيـد من حدتها أثناء تقبل الآخر لها مع هزة رأس، وابتسامة طفيفة كزيادة على البيع، موقف يجعلني فعلا أنتهز متأسفا فرصة الـضحك...لكـن بصمت، فأخلاقي لم تسمح لي بعد بإظهار قلة احترامـي لغـيري مـع احترامي له.يا للهول! وها أنا ذا أقع بالفخ ذاته، ألم أقل قبل لحيظات أنه موقف يستدعي الضحك.

"مع احترامي لك" هي الجملة التي تتملك مصدر الغضب لـدي ببراعة متفانية بالدقة، وهي موضوع تهكمي وسخطي، فانـسانيتي مـا زالت تتماهى بضياعات غيرية من باب الفضيلة البشرية.

يمرر شتيمته بعد جملته تلك، والمستقبل يستقبل، فقد عفا الله عما سلف، وعفت جملتنا عما أدبر، متاهة بخطوط ذاتية، معقدة بأسلوب غريب.

"مع احترامي لك أنت غبي""مع احترامي لك أنت متخلف""مع احترامي... اعذروني فلقد ذاب لساني بفمي من شدة احترامي وتكراره، ويل لقائلها! وهل بقي في الموضوع أي احترام، وهل الإحترام اقتصر على مقدمة الشتائم، وقناع صاد للحاد.

...ربما الموضوع عند المتلقي لا يستحق الطرح، أو أن الفكرة لا تستجلب النقاش، لكن الموضوع بالنسبة لي موضوع شتيمة بائنة بشكل أكثر وضوحا من التواري الظاهر بالحال الكائن، فأنا لست مستعدا لتلقي شتيمة من شخص يدعي احترامي ويشتمني بعد ادعائه، تناقض غريب بجملة واحدة، إنه وربي لمفترق بارز فشتان ما بين الإحترام والشتيمة، فلو كان الموضوع عندك بسيط أيها المستقبل البسيط، فهذا لأنك تهجنت على ذلك، وغدت الأمور عندك طبيعية مخالفة للوراثة، تماما كما فعل مندل عندما هجن البازيلاء، لتختص بخواص خارجة عن نطاق الوراثة المعهودة.اعذروني لن أكون بازيلاء بل سأكون آكلها.

## هم لي وأنا لهم... والشاهد السواد

عندما أغمض عيني، تداهمني العديد من الصراعات المتكدسة بجيوب العقل، فماذا حل بالبؤبؤ هل استقر بالأعماق وبات ضحية السواد، أم أنه قد غدا ضحية الإستسلام فآثر النوم، اذا سأفتح عيني فلن أجعله يستسلم يجب أن يقم فيهب واقفا متزحزحا بحدقة العين قاهرا للظلام.

ما يزالون ينظرون لي بعيون ناعسة مليئة بالعطف، وكم أتوق لهم لشدة توقي لبراءتهم تجاهي، يعطفون كأم حانية، وينصحون كأب واع، لي محبون وأنا لهم كذلك، مشاعرنا متصالحة ومتعاهدة على التبادل فالعقد ساري المفعول ومفعوله عما أظن باق على طول الدهر، لجاحي يبهرهم يجعلهم يمتطون صهوة العلا فخرا بي، ويبسطون لي بألسنتهم على لائحة الدعاء فيختارون أفضلها، فأمضي على أثرها.وعندما أبتسم يبتسمون؛ لأن الحياة ستبتسم لهم بمجرد ما برزت أسناني، فهم هكذا يقولون لي وأنا لهم بغاية

التصديقّ، والعجلة ليست بصالحي، فالمجازاتي يجب أن تتباطأ وعلى المسافات التي تربطها أن تتباعد، فقط لآخذ نفسا وكيلا تصيبني عين الحسد، فهم لي ناصحون وأنا لهم مطيع، يمكثون ليالي طوال وهم لي غارقون بالدعاء، وأنا لهم مخلص بيقين الإستجابة، عندما أجوب صفوفهم تهرول الإبتسامة حدوهم على الفور فهم لي مراقبون وأنا لهم مصدر سعادتهم، تجمعنا أحلام وردية يعجز عن وصفها الورد بذاته، نغمض أعيننا لنحلم سويا، فالسواد أكبر شاهد على مدى الإخلاص بالأحلام، فهم يكرسون بطريقي مقومات البطولة كي أقوم بأداء سيناريو أحلامهم، وأنا لهم جاد فسأتدرب مليا وأبدا لن اخذلهم.بالرغم من أن هناك أناس ممن حولي حاولوا قدر الإمكان، بأن يزودوني من سموم أفكارهم ليمزجوها مع منبع فكري، فهم يحاولون التفريق بيني وبين مجتمعي الذي أعشقه حتى الثمالة، فهم يقولون بأنهم لي حاسدون وحاقدون، وأنا لهم غافل وجاهل، وأن ما يظهر منهم أمامي ما هي إلا مسرحية يؤدونها بمهارة، لأنهم لم يجدوا الفرصة المواتية التي تدفعهم لأن يخرجوا ما في قلوبهم تجاهي هذا لأني لم أعطهم الفرصة المناسبة لشدة احترامي وتواضعي ومعاملتي الحسنة، لكني لم أعرهم أي اهتمام ولم أبال بما يقول هؤلاء المضايقين، وبقيت هكذا حتى أتاني ذلك الشعور، والحدس الذي انتشلته من أثير بعد الأحبة، فحينما أحن لهم الاحقهم، دون أن

يرونني فأستشعر بشعور غريب، فعندما يبتعدون عني، تداهمني العديد من الصراعات المتكدسة بجيوب الروح، فماذا حل بهم هل استقروا بالأعماق وباتوا ضحية الوحدة، أم أنهم قد غدوا ضحية الإستسلام فآثروا الهجر، اذا ساقترب منهم وسأكشف عما بدواخلهم فلن أجعلهم يستسلمون يجب أن يقوموا فيهبوا واقفين مترحزحين بحدقة الحياة قاهرين للإبتعاد.

...لكن بمجرد اقترابي تمنيت أن لا أكون مقابل أن أجهل مصدر السواد.لقد كان مصدره البؤبؤ فحسب!

# وتبخرت الحياة

كل واحد فينا أصبح يبحث عن نفسه خلف أكوام الحياة، تلك الأطمار المتخافتة من لبها، محاولا أن يجد نفسه هناك وان لم يكن فليجد بقايا نفسه.بقايا رماد، يبحث عن نفسه في ظل عالم سحيق ازدحم فيه كل ما دكر وبطن، من نواقص الأمور.هذا العالم الذي أوشك على الإنهيار بما هب ودب من سوائد الأمور ونحن ما نزال نبدأ بعملية البحث عن أنفسنا...

خلف هذا التيار الوميض نغوص بالتفاهات ونغرق بالحقائر المندثرة، ننساق خلف تفاهات غربية مبخرة، غاز ركد، لم يعد له معنى وكيف يكون وهو أصلا لم يكن انثبت رجولتنا على حساب تلك القيم والأسس التي عهدناها من تراثنا السحيق وعروبتنا البحتة.هي تلك الحياة الحق.

أبناء العروبة:عروبتكم أغلى ما تملكون، أجدادكم نافسوا السحاب بالكرم، وناطحوا الجبال بالعظمة والكبرياء ونحن أحفادهم ما نزال نبحث عن أنفسنا، هينون لينون بإستثناءات قلة، تجذبنا كلمة

لا تمد الحضارة بشيء، سوى أنها متأصلة بالغربية فنركض خلفها، وبات أولادنا يتهجون بحروفنا العربية وكأنها لغة لعالم آخر يجهلوه وبات الكبير منا يخطيء بأساسيات بديهية، فلولا القرآن لتبخر وهج العربية ورونقها الخاص، ولما لا وقد سادتنا الأفكار الغربية وجسدنا منها صنما أوشكنا على عبادته من التذلل والوقار للرذائل، فجدوا أنفسكم ان استطعتم!

لقد كانت العربية جزء لا يتجزأ من كيان أهلها، وكانت مثلا يحتذى بها عند باقي أصحاب اللغات الأخرى، فهم يرون من أصحاب العربية مدى الإهتمام بها فهي كائنة بكل لحظات حياتهم، فنجدهم يتفاخرون بفصاحتهم، فنجد من يشدو أروع ألحان القصيد بلغته، وآخر يساجله بها، وغيرهم من جسد خصاله وقوميته عن طريق لغته، وحرصوا على أن يتوارثونها جيلا بعد جيل، فانهالت الكتب التي تعنى باللغة وتراكمت القواميس والمعاجم على رفوف الخشب، وأجزيت العطايا لمن يكتب فهرعت الأقلام للكتابة، واكتنزت الأوراق بين دفتي كتاب، وبات الشخص يسهر ليالي ويمكث شهور وربما سنوات فقط ليكتب لنا كتابا واحدا، وفي ظل هذا كل ولدت لنا العربية أبناء قادرين على تخليد ذكراهم على مر العصور.

لكن الدنيا ما زالت بخير كما يقولون وربما أن بصيص أمل قادم من صفحات قرآنية قد أصر على تخليد اللغة كما خلد القرآن، فهالحن نرى بعصرنا الحالي بروز للعديد من الكتاب والشعراء المتألقين، وهالحن نشهد نهضة العديد من الجمعيات والمجلات والمعاهد والرابطات التي تعنى باللغة والأدب، التي من شأنها أن ترقى بمستوى ومكانة اللغة في النفوس، لكن أشد ما يخيف هو الشاب العربي المنساق خلف وميض الغربية والمتأثر بأفكارها والراضخ لكلماتها، الخوف قادم من تبخر الحياة العربية فإن حصل ما حصل دون أن نشد العزم وننهض بشبابنا لحو عربية زاخرة حينئذ لا ينفع الندم وسنبكي عروبتنا وحياتنا وتبقى الحياة السابقة هي الحياة الحق، الحياة التي كانت فاختفت وتبخرت بنفخات مرواغة من أهلها، وسنصبح نعيش على وميض الأحلام، أحلام العروبة مع أننا كنا فيها...لكن وكما تبين سابقا أنه بإصرار منا ستعود، وستنهض العربية من جديد حاملة هم العربي على عاتقها.

# وستستمر الحياة

وقطفت دمعات قلبي من عمق شجرة عيون شخصي...

لم تكن حكايتي سوى حكاية عارمة تقف متسولة عند حافة رحمة أولئك المتشبثين بأحلام السعادة ذاتها، ولم تكن السعادة بالنسبة لي سوى حلم زائف أحاول الوصول إليه بكلتا يدي وأنا أعلم يقين العلم أنني لن أصل لكني استمر وابقى استمر تحت شعار اصطنعته لنفسي وامنت بكذبة وضعتها"وستستمر الحياة" ستستمر الحياة ما دامت تلك الشمس تشرق علينا بكل صباح وتبث باشعاعاتها المتقامرة على وجوهنا كل وجه له اشعاع خاص به، ولما يراودني شعور أنني صاحب الاشعاع الردئ!.

أنا والفقر كهاتين إنكم لا ترونني وأنا في هذه اللحظة أشيح بوجه رفيقي بسبابتي والوسطى من يدي، اني أخاله وهو يقف وراء

السعادة التي أحلم بها، ويرحب بي على سعة بأن أقبل. أقبل للسعادة وها أنا ذا أقبل عليها بالفعل، وأنا وهو نعلم أنني مقبل عليه ليس إلا، لكني ما أزال أقنع نفسي بتلك السعادة التي تتسمر أمامه، وما زال لعابي يشهد علي بسيلانه عند رؤيتها، وما زالت حدقة عيني أيضا محط شهادة وهي تتسع صوبها، فأكاد أقترب فيلين تسمرها وتسمح لي صلادة صلب التسمر بأن أخترقها، وكأنها نسائم هواء عابرة أتخللها ضمن فراغ شاحب يصلي قلبي برمق صاخب، فتتفتح لي الباب لما وراءها ليحتضنني رفيقي بمهارة ملعونة، فألملم أنفاسي من شدة الاحتضان كيلا افقدها مثلما فقدت ما مررت بها من لحظات، ومع ذلك أعود لأكذوبتي فأصر بأن اكون مصدقها الوحيد قائلا: وستستمر الحياة...

في منتصف الطريق أي ما بين وقع بصري عند حافة قدمي حتى تلك المتشمخة على عرش العجز(السعادة)، أجد لآلئ وكنوز مصورة على صناديق متبعثرة هنا وهناك، فاختطفها أثناء العبور

فأجدها فارغة، ليقتلني الفراغ بـصعوبة، فمـا زالـت ابتـسامة رفيقـي المذيل لعرش العجز تحتل المرتبة العليا للتفنن بقتلي بـسهولة يتعجـب السهل بذاته منها، ليقع أخـيرا صـندوق ثقيـل، ثقيـل قلـيلا فافتحـه بلهفة الشرة فأجده يحتوي على صناديق أخرى كـل صـندوق يحتـوي على حرف، حينئذ سمعت ضحكة صـاخبة، فقـد يئـست عـيني مـن شدة رؤية الابتسامات الساخرة، فقد حان الوقـت لأذنـي ان تـسمع صوت ضحكات صاخبة، قبل أن ينزف قلبي بصداها، حينها تملكتني الجراة ونظرت بعينيه بشدة قائلا ستستمر الحياة! وستكون دليلا على بطلان عقد رفقتنا يا هذا، قـال بلهجـة المـتمكن يـارفيق دربـي إنهـا حروفي قالها بهزلية رائعة وبثقة عالية، تركته بشأنه وعدت لـصناديقي فتحـت الاول واذ بالفـاء تحتـضن جوفـه، نظـرت إليـه، فهـز رأسـه بايجـاب. حملقـت هنـاك حيث إلى مـن أطمـح إليهـا، فقلـت بلهفـة وستسمتر الحياة إن هذا الحرف يدل على الفلوس بالتأكيد، فهو بداية الطريـق لتـشكيل كلمـة فلـوس، ففتحـت الـصندوق الثـاني واذ بـه

القاف، فنظرت إلى رفيقي وأنا مكذب لواقعنا مصدقا لأكذوبتي، قائلا: بلى ستستمر الحياة، إنه الحرف الاول من كلمة قريبة، وسأفتح الصندوق الثالث نكالا بك يا رفيقي، وسأجد حرف الميم فستكون الفلوس قريبة مني، هذا ما يبشرني به القدر فإنه لم يرمي هذا الصندوق في طريقي عبثا، فهممت بفتح الثالث، لولا تأخير رفيقي لي، قائلا: يا عزيزي ما بها رفقتي كثير منهم رفقائي يصلون بطرق أخرى إلى ما تطمح إليه، فهل اقتصرت يا عزيزي سعادتك على الفلوس، قم معي لنكمل مسيرتنا قبل ما تصدم بالصندوق الثالث.

لم يعجبني كلامه ولبيت رغبتي، وقلت وأنا أردد أكذوبتي وستستمر الحياة بأنني سأجد حرف الميم وإذ به يكسر واقعي المزعوم ليتمم براءه شخص رفيقي، ياه كم أكره الراء، وكم اكره الفاء والقاف، ياه كم أكره الحروف التي احتضنت شخص رفيقي.

أمسك بيدي وسار بي إلى نهاية الطريق حاكما علي برفقة أبدية، وأنا ما أزال أنظر الى أكذوبتي قائلا وستستمر الحياة، فعساها

أن تعطيني فرصة أخيرة، بأن تحكم علي بـأن أبقـى مـع رفيقـي علـى عدد حروف اكذوبتي بما أن الموضوع عبارة عن لعبة حروف، فـأكون على الأقل أنتظر بأمل يقف خلف ثلاث عشرة سنة بدلا من عـذاب أبدي أجهل انتهاءه سواء قل ام كثر، فما زالـت لـدي فرصـة أخـيرة بأن أنطق الجملة والتي يقف خلفها الأمل .

فلقد قطفت حروف أملي من شجرة وستستمر الحياة.



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلــوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com

9789957572457